بسم الله الرحمن الرحيم

أبو ذؤيب الهذلي

حياته وشعره

نورة الشملان

المحاضرة بكلية الآداب ـ جامعة الرياض

الناشر : عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض ـ الرياض
ص ب : ٢٤٥٤ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة من المؤلفة بعنوان :

أبو ذؤيب الهذلي : حياته وشعره

للحصول على درجة الماجستير في الآداب من جامعة الرياض . وقد منحت الدرجة من قبل مجلس الجامعة في ١٢/١١/١٣٩٨هـ (١٤/١٠/١٩٧٨م) .

©١٩٨٠م جامعة الرياض

جميع حقوق الطبع محفوظة . غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب ، أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخاً ، أو تسجيلاً ، أو غيرها إلا بإذن كتابي من صاحب حق الطبع .

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ (١٩٨٠)

طبع في

شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)

العمارية - الرياض

إهداء

إلى أعز الرجال في حياتي . .

أبي
زوجي
وابني

أهدي هذا الكتاب . .

تقديم

دراسة الشعر الجاهلي بين مباحث الأدب العربي صعبة المسالك وعرة الدروب ، لا يرتادها إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين . وقليلاً ما يقبل طلاب الدراسات العليا بأقسام اللغة العربية على موضوعات الشعر الجاهلي والأدب القديم عامة لما فيها من صعوبة وجهد .

ذلك أن الإقدام على موضوع الشعر الجاهلي بخاصة مخاطرة علمية لا تخلو من محاذير كثيرة ، أولها ، بل أظهرها ، صعوبة لغة ذلك الشعر التي باعد الزمن بينها وبين لغتنا المعاصرة أكثر من خمسة عشر قرناً ، ومنها قلة الأخبار عن عصر الجاهلية في جزيرة العرب ، وتفرق الأنباء عن طبيعة اللغة والحياتين الاجتماعية والأدبية ، بل وتضارب الرأي في حياة عرب ذلك الزمان الثقافية والفكرية . ومنها تفرق الشعر الجاهلي وضياعه ، وقيام الشكوك حول روايته ، واختلاط ما روي منه بعضه ببعض ، ونسبة بعضه إلى غير قائليه من الشعراء ، ووضع كثير عليه ، والتزيد فيما ورد صحيحاً منه . وأخيراً وليس آخراً قلة ما بين أيدينا من دواوين ذلك الشعر محققة تحقيقاً علمياً موثوقاً به ، لاتخاذه أسساً لبحوث جامعية جادة .

وأحسب أن بحثاً كالذي بين أيدينا عن شاعر عربي عاش معظم حياته في الجاهلية وكان مقدماً ، فحلاً ، بليغاً ، من قبيلة عرفت بالفصاحة ، واللسن ، وكثرة الشعر أحسب أن بحثاً كهذا له قَدْره وأصالته ، وفائدته .

لقد اهتم علماء العربية منذ عصر التدوين في القرن الثاني الهجري بجمع شعر هُذَيْل بين ما جمعوا من أشعار القبائل ، وكان بين ما جمعوا منه شعر أبي ذؤيب الهُذَلي شاعرها الكبير . واهتم العلماء بشعر هُذَيْل طلباً لفصيح اللغة ، واهتماماً بشواهدها وعُرفت لغة هُذَيْل بسمات لغوية أشارت إليها كتب النحو واللغة إن إعراباً أو بناء أو غرابة لفظ واختلاف دلالة . ولم تحظ مع هذا لغة هُذَيْل بدراسة مستفيضة تجمع شتاتها ، وتلقي عليها من أضواء المعرفة المعاصرة بالدراسات اللغوية الحديثة ما يكشف لنا عن عناصر حضارية أو صوتية متفردة أو مشتركة بينها وبين غيرها من لغات العرب القريبة الدانية أو البعيدة القاصية ، تزيد من معرفتنا بالعصر الجاهلي وتوثق أو تبهرج بعض ما ثبت عنه في أذهان كثير من الباحثين ، اعتماداً على تلك البحوث التقليدية القائمة على المعارف المتوارثة ، دون تمحيص عصري يكشف أسرارها ، ويفض مغاليقها .

كان أبو ذؤيب الهُذَلي في أخبار القدماء ، وكتب الأدب والنقد والشعر علماً بين شعراء الجاهلية والمخضرمين ، لكنه مع هذا لم يحظ بالدرس الوافي ، ولا البحث الشافي ، ولم تحط به المعرفة إحاطة بيان ، وكل ما ورد عنه هنا أو هناك مجرد أخبار قليلة ، ونقدات عابرة ، لا تشفي غليلاً ، ولا تبل صدى معرفة . وحريّ بها أن لا تفي بغرض باحث طلعة ، مع كونه شاعراً فحلاً مقدماً ، له حياته الحافلة بالأحداث في الجاهلية والإسلام ، فضلاً عن شخصيته الغريبة المتميزة التي تتجلى لقارئ شعره .

ولعل هذا الأمر نفسه هو الذي حفز السيدة نورة الشملان إلى أن تحاول مع أبي ذؤيب وشعره في هذا البحث ، لعلها أن توفق في أن تضيف شيئاً ، أو أن تكشف جانباً من جوانبه ، أو أن تقول قولا جديداً فيه . وهكذا فقد اقتحمت عليه بابه ، وارتحلت إليه عبر السنين من خلال الكتب والمصادر ، وفي أثناء شعره ، ولقد هالها أول الأمر ندرة المادة عنه ، وعن قبيلته ، لكنها تمسكت بالصبر واعتمدت المثابرة ، وأطالت المراجعة والمعاودة ، تجمع الشتات ، وتلتقط الشذرة بعد الشذرة من نوادر الكتب وركام الأخبار ، وتحلل هذا كله ، وتنقيه ، حتى اطمأنت إلى شيء يمكن أن تجد فيه مطلوبها .

وكان عليها أن تجوب العصر ، وترتاد البيئة ، فتسبر غورها وحزنها حتى تصل إلى تَصوُرٍ ما رغم ندرة الأسانيد ، فكان مثلها مثل الأثري يلفق من بقايا الأحجار ، وحطام الشقاف شيئاً ما ، قد يكون إناء ، يكشف عن خط فني أو نموذج لعصر شاهد على طبيعة الحياة فيه .

ورأت أن تحاول الكشف في جوانب حياة قبيلة الشاعر« هُذَيْل » ، فتتعرف على أرضها ومنازلها ، واستعانت بالخبر ، والشعر ، وضمت إليهما معالم المكان الباقية ، ومنها جميعاً كونت تصوراً لنفسها عن تلك القبيلة وحياة الشاعر فيها . وكان ذلك مفتاحاً ، أو مدخلاً إلى شخصية أبي ذؤيب نفسه . ثم عرضت لموضوعها ، ودرجت إلى شاعرها ، حذرة الخطى ، تطرق عليه أبواب الماضي ، دليلها إليه شعره ، تمسك به لتستخبره أحواله ، وتستلهمه هواجسه وعواطفه ، آماله وآلامه ، مَسرَّاته وأحزانه ، حقائقه وأباطيله . . فعرضت لجوانب شتى من حياته العامة والخاصة ، في الجاهلية والإسلام بين أهله وأصدقائه ، وفي عشيرته أو في حياة المسلمين وجهادهم بعد إسلامه ، وجهاده هو وأبناؤه في جيوش المسلمين .

ولم يكن عرضها لشعره ، ولا دراستها له معتمدة على النهج التقليدي وحده بل تخللته نظرات ووقفات جديدة ، لو أتيح لها أن تنمو ، وتعمق لأنبأت بكثير . لكنها مع ذلك لم تخل من لمحات دقيقة تنبهت لها ونبهت إليها . وقد حمدت لها حسن تحليلها وفهمها لشعر أبي ذؤيب على صعوبته .

وأرى في هذا البحث وهو باكورة عمل علمي جامعي جاد للسيدة نورة الشملان أملاً في مستقبل طيب لصاحبته التي استحقت عليه درجة الماجستير بجدارة .

وأرجو أن توالي جهودها في هذا الميدان ، وتتبع هذا البحث ببحوث تنال بها ما هو أرفع في الدرجة العلمية ، وتثبت قدمها في طريق هذا العلم .

والله الموفق والمسدد للصواب .

الدكتور

محمد زغلول سلاّم

المقدمة

عندما اقترح عليّ قسم اللغة العربية بكلية الآداب أن يكون موضوع رسالتي **أبو ذؤيب الهُذَلي ، حياته وشعره** ، لم تكن لي صلة سابقة بشعر هذا الرجل ، عدا عَيْنِيَّتِه التي كانت من جملة ما قرأت قراءة عابرة لا تغوص إلى الأعماق ، بل تكتفي بالمطالعة السريعة التي لا تغني . وأعترف أنني بعد أن بدأت هذا البحث ، وقرأت شعره ، لم يرقني بعد القراءة الأولى ، لما اشتمل عليه من غريب الألفاظ والمعاني الوعرة التي حالت دون فهمه ، فصعب بذلك تذوقي له ، وانصرفت عن شعره فترة من الزمن ، وأخذت أبحث في بطون الكتب عن بصيص من المعرفة التي تضيء طريق فهم حياته . وتبيَّن لي أن هذا الشاعر لم يحظ من الكتَّاب القدامى بالعناية الكافية ، واقتصر حديث معظمهم عنه على إيراد نسبه متبوعاً بأبيات من شعره ، واكتفى بعضهم بذكر حبِّه لأم عمرو ، وفقده لأبنائه واختيار أبيات من عَيْنِيَّتِه .

أما النقاد المحدثون ، فلم يتناوله بالدراسة الشاملة إلا أحمد كمال زكي في كتابه « **شعر الهُذَليين** » .

والحقّ ، أني مدينة في معظم فهمي وتذوقي لشعر أبي ذؤيب لهذا الأديب الفاضل ، فقد أقنعتني دراسته للشاعر أن في شعره من الجمال الفني ما يستحق الوقوف ، بل المشقة والبحث والدراسة .

ولقد قرأت شعر أبي ذؤيب مرة ومرات مستعينة بشرح السكَّري لألفاظه ، وكنت في كل مرة أُعيد قراءة الشعر أجد نفسي وقد تكشَّفت لي نواح جديدة لم أكن عرفتها في المرة السابقة ، ووجدت في شعره شعاعاً يضيء ما خفي من أسرار حياته .

وبدأت في كتابه الرسالة مقسمة إياها إلى خمسة أبواب ، اشتمل **الباب الأول** على **فصلين** تناول الفصل الأول منهما **أصل هذيل ومنازلها** ، وتناول الفصل الثاني **حياتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية** . وخصصت **الباب الثاني** لدراسة **حياة الشاعر وأخباره** ، وقد حاولت جاهدة أن أستمد من شعره شعاعاً يضيء ما غمض من أخبار حياته ووجدت في بعض شعره سجلاً لما كان يمارسه من نشاطات خاصة في فترة شبابه فقد سجل مغامراته في شعره . ولقد حاولت أن ألتمس من شعره حيناً ، ومن أخباره المتناثرة القليلة حيناً آخر ما يعينني على رسم صورة واضحة المعالم للشاعر ، ولا أزعم أني وُفِّقت في ذلك ، فما زالت في حياته جوانب غامضة .

أما **الباب الثالث** ، فقد جعلته **للدراسة الموضوعية** وقسمته إلى **فصول أربعة** جعلت الفصل الأول **للرثاء** ، والثاني **للوصف** ، والثالث **للغزل** ، أما الرابع فقد أدرجت فيه **الأغراض الأخرى** التي احتواها الديوان وهي الفخر ، والمديح ، والهجاء ، ووصف الخمرة .

أما الباب الرابع ، فقد جعلته **للدراسة الفنية** مقسمة إياها إلى **ثلاثة فصول** تناول الأول منها **لغة الشاعر وأسلوبه** ، وتناول الثاني **خياله الشعري** ، وتناول الثالث **بناءه للقصيدة .**

والباب الخامس خصص **لموقف النقاد من شعر أبي ذؤيب** ، وقد قسمته إلى **فصلين** تناول الأول **إهتمام أصحاب المجاميع الشعرية بشعر أبي ذؤيب وكذلك النقاد القدماء** ، وأما الفصل الثاني فخصصته **للنقاد المحدثين وموقفهم من شعر أبي ذؤيب .**

وقد اختلفت مصادر الدراسة وتنوعت بين مصادر عن نسب قبيلة الشاعر وديارها ومنازلها ، وأخرى عن ترجمة حياته ، وثالثة عن خصائص شعره الفنية ، ورابعة عن موقف النقاد من شعره .

أما مصادر نسب القبيلة ومنازلها فأهمها جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، والمسالك والممالك للإصطخري . أما المصادر التي عرضت لترجمة الشاعر وأخباره فأهمها طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني للأصفهاني وهو يعد بحق المرجع الأول لمعرفة حياة أبي ذؤيب .

أما الباب الثالث فقد اعتمدت فيه على ديوان الشاعر ، إذ أن هذا الباب كان تصنيفاً لأغراض شعره ودراستها . واعتمدت في الباب الرابع على كتب اللغة التي استشهدت بشعر لأبي ذؤيب ، كالأمالي للقالي ، والأضداد للأصمعي ، والأضداد للسجستاني ، والأمالي لابن الشجري ، والمخصص لابن سيده ، وغيرها مما أثبته في حواشي صفحات هذا الباب .

والباب الخامس اعتمدت فيه على كتب النقد القديم والمجاميع الشعرية كالمفضليات ، وجمهرة أشعار العرب ، وعيار الشعر ونقد الشعر وغيرها .

وأخيراً ، فلست أدعي الكمال ، وكل ما أرجو أن أكون قد وفيت هذا البحث حقّه ، وقمت بشيء من الواجب تجاه هذا الشاعر الذي لم ينل حقّه من الدارسين .

وبودي في الختام أن أقف قليلاً لأحيي أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلاّم الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته وإرشاداته التي كانت خير معين ، فله مني تحية إجلال ، يظللها العرفان بالفضل والتقدير لذلك العطاء السخي .

نورة الشملان

المحتويات

صفحة

تقديم ..... ز
المقدمة ..... ك

الباب الأول : هذيل ونشاطها في العصرين الجاهلي والإسلامي ١
الفصل الأول : نسب هذيل ومنازلها ٣
الفصل الثاني : مجتمع هذيل ، خصائصه ونشاطه في الجاهلية ، وصدر الإسلام ١١

الباب الثاني : أبو ذؤيب : نسبه وأخباره ٣٧

الباب الثالث : شعر أبي ذؤيب : دراسة موضوعية ٥٣
الفصل الأول : الرثاء ٥٥
الفصل الثاني : الوصف ٦٧
الفصل الثالث : الغزل ٨١
الفصل الرابع : موضوعات أخرى ٨٩

الباب الرابع : الشعر : دراسة فنية ٩٥
الفصل الأول : اللغة والأسلوب ٩٧
الفصل الثاني : خياله الشعري ١١٩
الفصل الثالث : بناؤه للقصيدة ١٢٩

الباب الخامس : شعر أبي ذؤيب في ميزان النقد ١٤٣
الفصل الأول : مع القدماء ١٤٥
الفصل الثاني : النقاد المحدثون ١٥٩

الخاتمة ١٦٩
المراجع ١٧٣